المحاضرة الخامسة: المشاركة الجزائرية في حرب فلسطين 1948

- المتطوعون الجزائريون في حرب 1948

لم تكد تدخل سنة 1948 على القضية الفلسطينية التي شدت أحداثها أنظار العالم العربي والإسلامي مشرقا ومغربا، فما إن صدر قرار التقسيم الأممي في 29 نوفمبر حتى تجدد الكفاح المسلح إثر النداء الذي وجهته اللجنة العربية العليا إلى الشعب الفلسطيني تدعوه إلى مقاطعة هذا القرار بالسلاح، وهب عرب فلسطين يدافعون عن وطنهم، وألفوا قوات الجهاد المقدس بقيادة "عبد القادر الحسيني" وأخذت تهاجم المستعمرات الصهيونية. كما عقدت قمة عربية في بلدة (أنشاص) بمصر في شهر ديسمبر 1947 في إطار الجامعة العربية، ورفضت قرار التقسيم وقررت مد الفلسطينيين بالمساعدة المادية والعسكرية لمنع تطبيقه، وتقديم جميع التسهيلات لإرسال 3000 متطوع من دول الجامعة العربية على الأقل لسوريا، على أن يكون المتطوعون كاملي العدة من التسلح، وأن تتكفل كل دولة بجميع لوازم متطوعيها حتى وصولهم إلفي المعسكر الذي تعينه لهم اللجنة العسكرية بدمشق للإعداد والتدريب من أجل إنقاد فلسطين، فسميت قوات المتطوعين الإنقاذ.

وما أن وجه "الحاج أمين الحسيني" مفتي فلسطين الأكبر نداءه إلى عرب فلسطين يحثهم فيه على الثبات ومواصلة الجهاد حتى النصر، وكذلك يدعو فيه القادرين على حمل السلاح للتطوع سوآءا كانوا داخل فلسطين أو خارجها للدفاع عن حرمة الأماكن المقدسة، حتى قام مكتب المغرب العربي بالقاهرة بترداد النداء داخل أقطار المغاربة لجمع وتنظيم المتطوعين من المغرب والجزائر وتونس وليبيا، وتوجيههم عبره ومن خلاله إلى الجهات العربية ضد العدو الصهيوني. كما بعث "الحبيب ثامر" بصفته مديرا لمكتب المغرب العربي برقية إلى "عبد الرحمن عزام" الأمين العام لجامعة الدول العربية أكد فيها: ((إن جميع المغاربة الموجودين في مصر يضعون أنفسهم تحت تصرف الجامعة العربية للكفاح ضد الصهيونيين، وإنقاذ فلسطين)).

ونتيجة إلى دعوات الجهاد التي نظمها التونسيون برئاسة الشيخ "الصادق بسيس" انضم كثير من الجزائريين، خاصة منهم الطلبة والتجار، واخترق ألف (1000) متطوع خفية من القطر التونسي إلى فلسطين بعد تلقيهم مساعدات من السلطات الليبية والمصرية

وتدريبهم في مركز مرسى مطروح، كما كان مكتب المغرب العربي بمصر يستقبل أفواج المغاربة المتطوعين في القاهرة وفي دمشق من أجل تحرير فلسطين، وألف كتيبة منهم باسم (شم النسيم)، وقاد هؤلاء المتطوعين المغاربة "محمد الخطابي" أو "عبد الكريم الخطابي"

وحسب الوثائق المحفوظة في أرشيف المعهد العالي للحركة الوطنية التونسية بجامعة منوبة التونسية، فإن المتطوعين في قفصة التونسية كان تنظيمهم وتمويلهم وتسجيلهم يقع تحت توجيه بعض الشخصيات التونسية، وبحسب الأسماء المذكورة فإن بعضهم يكون من أصل جزائري متخفين بأسماء تونسية خوفا من اكتشافهم من قبل القوات الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية ومن ثم طردهم وإعادتهم على الجزائر ومنعهم من تحقيق أهدافهم، ومن بين هؤلاء الأسماء "محمد فتي" تاجر القماش و"أحمد الشريف" و"محمد بن ابراهيم بن شريط" التاجر أيضا و"عثمان" الذي كان يشغل كاتب لدى المحامي المعروف باسم "مرزوقي". وهكذا تمّ ارسال الدفعة الأولى من المتطوعين وكان عددها يفوق مائتي(200) المتلوي المنجمية.

مهما يكن من أمر؛ فإن الكثير من هؤلاء المتطوعين لم يسعفه الحظ في الالتحاق في صفوف الجيوش العربية المحاربة ذلك أن السلطات المصرية التي كانت تؤتمر بأوامر الانجليز، بادرت إلى طردهم وإعادتهم إلى أوطانهم الأصلية واعتبرتهم غير مرغوب فيهم، في نظر السلطة المصرية فإن هؤلاء لم يكونوا لا ليبيا و لا شمال إفريقيين لا يملون وثائق ثبوتية. علما أن الجزائريين لكثرتهم كانوا يختفون تحت عدة أسماء تونسية، والذين لم يستطيعوا فعل ذلك فإنهم كانوا يتظاهرون أمام السلطات المصرية بالذهاب إلى أداء فريضة الحج وبعضهم يتظاهرون بممارسة التجارة.

وهو ما يؤكده تقرير سلطات الحماية الفرنسية بتونس أنه بتاريخ 20 جويلية 1948 وصل عدد المبعدين من متطوعي شمال افريقيا من قبل السلطات البريطانية إلى 110 جزائريين و2200 تونسيا و25 مغربيا. كما ألقت السلطات الإنجليزية القبض على ثلاثة جزائريين في مدينة صبراتة بليبيا وقدمتهم إلى المحاكم الإنجليزية وقضت عليهم بسنة وستة أشهر سجنا ثم قامت بطردهم بعد أيام من التعذيب نحو القطر التونسي.

توزعت مساهمة الجزائريين للقتال في فلسطين ضمن توزع مساهمة المتطوعين المغاربة على مساحة كبيرة من جبهات القتال، ففي الوقت قسم منهم على الجبهة الشمالية

من فلسطين ضمن الفوج التاسع السوري، نجد قسما آخر شارك في القتال على الجبهة الجنوبية من فلسطين في منطقة عمليات الجيش المصري مع فيالق الإخوان المسلمين المصريين تحت قيادة "أحمد عبد العزيز".

ومن العمليات التي شارك فيها المتطوعيون الجزائريون عملية (قلعة القسطل) التي تقبض بزمام الطريق بين القدس وتل أبيب التي قام فيها المغاربة بنسف جسر (كالوني) على وادي عين كارم في منطقة القدس ونسفوا المعدات الصهيونية حوله، وقد استشهد منهم 08 مناضلين. واشتهر في هذه العملية المتطوعان الجزائريان : "حسن البليدي" باقتناص الدبابات الصهيونية بطرية عجيبة، و"رمضان القسنطيني" وجرأته في الحرب، فرقي من مرتبة جندي إلى مرتبة نائب (سرجان شاف).

ضمن المشاركة مع الأخوان المسلمون في الهجوم على مستعمرة (كفار داروم) من بلدة (دير البلح) يوم 10 ماي 1948 استشهد خمسة جزائريين هم: "حرشاوي عبد القادر" من (الأصنام) و"بلقاسم عبد القادر" من (الجزائر) و"عبد القادر الملياني" و"مصطفى" (معسكر) و"الحاج حديد".

وهي نماذج عن المشاركة الجزائرية في حرب سنة 1948 التي خصت المتطوعين دون الحديث مساهمة الجزائريون الذين هاجروا إلى فلسطين الذين كانوا من المؤسسين الأوائل للكفاح الفلسطيني المسلح. وشاركوا في عشرات المعارك ضد الصهاينة وخاضت (قرية هوشة) الجزائرية التي تبعد 14 كلم شرق حيفا في 15 أفريل 1948 معركة استمرت من السادسة صباحا حتى منتصف الليل فقدت فيها 35 شهيدا.

وفي الأخير؛ لا بد أن نشير إلى أن الكثير من الجزائريين الذين لبوا نداء الوحدة العربية الإسلامية قد استقروا بالمشرق العربي بعد الهزيمة وبعضهم في مصر وبعضهم في فلسطين وسوريا والأردن مثل السيد "محمود عيساوي"، والكثير منهم عاد إلى الجزائر وانضم إلى الثورة التونسية لما اندلعت مثل: "لزهر شريط" وغيرهما اللذين صاروا من أبطال الثورة التحريرية الجزائرية.

المصادر المراجع

- يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1530 . 1954**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014،

- أحمد أبو جزر، **بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطنية 1948 . 1978 (تونس - الجزائر – المغرب)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013-2014،

- ميلود فتاتة، **نظرة الحركة الوطنية الجزائرية لقضايا التحرر في المشرق العربي 1930 . 1954 (مصر - سوريا – فلسطين)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008/2007،

- أحمد أبو جزر، **بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطنية 1948 . 1978 (تونس - الجزائر – المغرب)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013-2014،

- ميلود فتاتة، **نظرة الحركة الوطنية الجزائرية لقضايا التحرر في المشرق العربي 1930 . 1954 (مصر - سوريا – فلسطين)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008/2007،

- يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1530 . 1954**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص:348.